الأدب مرآة الحياة

بقلم: د. عبدالباسط بدر

كثيرا ما تحدث النقاد ودارسو الأدب عن العلاقة بين الأدب والواقع ومدى اقتراب كل منهما من الآخر أو ابتعاده عنه ، وقد تعددت الآراء في ذلك وتضاربت أحيانا ، ولكن هذا التعدد وذلك التضارب نظريان ليس غير ، فالذين أرادوا من الأدب أن ينأى عن الواقع في عالم الخيال والجمال ، إنما يحاولون أن يهربوا من الواقع الذي يعيشون به ويصنعون من خيالاتهم واقعا بديلا يعوضهم عن نكساتهم وأزماتهم في حياتهم الحقيقية ، فهم في حقيقة الأمر يهربون من واقع قاس مفروض عليهم إلى واقع يأملونه ويتمنون أن يتحقق ، ومن ثم فإن الواقع يسكن في أعماقهم ويفضح عجزهم عن مواجهته .. ومنذ القديم أدرك متذوقو الأدب ونقاده هذه الحقيقة فصاغوا المقولة التي صارت مسلَّمة متداولة: الأدب مرآة الحياة .

وهذه المقولة التي تصدق على الآداب بعامة تصدق بشكل أكبر وأقوى على الأدب الإسلامي ، ذلك أن الأديب الإسلامي يعبر دائما عن المواقف التي تواجهه في حياته ، وتفيض قريحته بآثار الحدث الذي ينفعل به وقد تصور الحدث نفسه ، بتفصيل حيناً ، وبإيجاز حيناً آخر ، وتصور كل ما يرافقه من مشاعر وأحاسيس.

وقد أصبحت هذه الصفة سمة من سمات الأدب الإسلامي وخصائصه ظهرت آثاره في تعدد موضوعاته بتعدد قضايا الحياة، وفي تلون مشاعره بتلون المواقف التي يمر بها، فأنت ترى في هذا الأدب مواقف الجهاد والبطولة تفيض بها قرائح المجاهدين الذين آتاهم الله موهبة الأدب ، شعراً أو خطابة، وترى مواقف التبتل والنجوى في الأدب الذي تفيض به قرائح الزهاد الذين يستطيعون أن ينقلوا إلينا أشواقهم السامية وأحاسيسهم العليا بالكلمة الجميلة المتميزة ، وترى مواقف أخرى للعبادة، ومواقف للتعامل مع الآخرين.. مواقف للحياة العائلية ، ومثل هذه المواقف تصور كل جانب من جوانب الحياة الواقعية التي هزت الأديب المؤمن■